الانسان ، ومداره اعداده للقيام بعملية تحويل مجتمعه .

وينقد الادب ، فهو يريده عمارات تشمخ على أسس من جمالية تعطي الناس والاشياء معنى بالنسبة الى الانسان ، مع فنية في الاداء ، وتخلق القيم ، وتتبرأ من المدارات المغلقة ، والطرق المسدودة ، ومتاهات الموت والضباب ، وتؤكد مجد الانسان .

اما سبيله الى هذه جميعا ، فأسلوب هو حقا حدث الاشاء العربي ، موصول الاواصر بأنقى ما في تراثنا الادبي . تقراه ، فاذا أنت في ذوق البيان كأنما الجاحظ وسادة القول الاول وراء كلامه . واذا أنت من البلاغة في مثل ما هي في الكائن الحي المعافى ، أبدع وأروع ، لانها الحياة في نموها .

ان من يقرا رئيف خوري ، يحس بالحياة كأنها مخبوءة بين السطور ، ويحس في الحرف رعشة دعوة الى رحلة جديدة ، ويسري حوله ذلك الروح الخفي الذي يحمل في أنفاسه معالم الغد . وفي هذا الجو المسحور ، تنكشف له أعماق نفسه ، فتعتريه حالة من حبور ، كأنه خرج ـ وهو لم يزل ـ من قبضة سلطان ما يعكر عليه عين الشمس .

أما نسغ هذا الاسلوب الرئيفي ، عنيت وشائج الكلم المنتظم عباراته ، فخيط من ذوق رهيف مثير ، ينقلك من حقيقة المجاز الى مجاز الحقيقة ، ملقيا المعاني في الامور المكشوفة بما يتخيل فيها ، مرجعا القليل من الحياة كثيرا في ضمير الارادة ، تاركا الماضي الهرم يتقهقر قارا بما يحلد من وصفه ، جاعلا المؤلم والبشع من الحياة ، يتكشف عن لذاذة يجملها فعل النضال . ومدار ذلك كله ، على ايتاء الفكر جذوة الشفافية ، التي هي في ذاتها ، جذوة نضاحة بعناصر تربتها جميعا . فهذا الفكر خمير طيع ، متكيف ، لا يعرف اليباس ، ولا يبتغي ادراكا مجردا ، ولا صورة على مثاله ، كأنه على يقين ان ليس في الوجود وجود مطلق ، ولا وجود قائم بذاته ، وانما حالات وصور تتحول ، وتتكيف ، بمقدار ما يثور فيها قلق ، أو يعتمل نازع من تباين .

***

قلت :

لقد غابت من رئيف خوري سورة اللحم والدم . فقيل : مل المقام ... ، وقيل : استراح فأراح . والحقيقة ، انه ما غاب ، ولن يصمت ، وما مل ، ولن يخلد الى سلطان سكينة . وها هو ، في كتابه « الادب المسؤول» تنشره « دار الآداب » ، وفي أخوة له تليه ، يحلق بارادة أنوف فوق تخوم الادب العربي ، غارسا في صدور الاجيال الصاعدة ، أغراس حياة أبت ان تجذر في غير تربة الحرية ، ثم شمخت ، فأورقت ، وأثرت فنا يعاف الاطر الحديدية ، وينهل من نبع العطاء الانساني . (*)

ميشال سليمان

(*) مقدمة كتاب « الادب المسؤول » تاليف رئيف خوري ، يصدر هذا الشهر عن « دار الاداب » .

الشيء الذي لا يقال

تهلّل الجراح في أعيننا
ويرقص الانين في الشفاه
ومن سحائب الهجير في قلوبنا ...
ينسكب المطر
. . . . . .
. . . . . .
وتضحك الزهور في حديقة المأساه

***

يا كنزي الاسير
نعمت بالظلام كي أضيء شمعتك
ذبحت ألف عمر عند بابك الضرير
قرأت ألف رقية ورقية للجن والملائكه
صلّيت للاله وابتهلت للشيطان
غطّيت بالخداع كل أعين المجره
. . . . . .
. . . . . .
وها أنا في آخر الزمان ...
أؤثر أن يقتلني الرجاء كل يوم ألف مره ..
ولا أذيع قصّتك

***

قالت لي النجوم
ـ ونحن نفرس الشعاع في بيادر الندم ـ :
« الليل عربيد ثمل
« جراحه ـ مثل جراح الوهم ـ ليست تندمل
« من أجل هذا .. فالظلام منذ كان لم ينم
« لو يأكل الليل النجوم لاستراح »
. . . . . .
. . . . . .
حاولت أن أستوضح المعنى ..
أجابت :
« عندما ينبلج الصباح »

الاسكندرية

محمود العتريس